العرب
الثلاثاء 2021/04/13
السنة 43 العدد 12029

عدو مشترك لإثيوبيا وإريتريا أم حلف الأعداء السابقين؟

التسويق الإثيوبي لانسحاب القوات الإريترية من أرض النزاع مجرد بالون اختبار

لا تزال معظم التخمينات حول انسحاب القوات الإريترية من إقليم تيغراي مبنية على ما تقوله إثيوبيا، إذ لا تتوفر تقارير موثوقة إلا في ما ندر بسبب عزلة الإقليم. ومع ذلك فإن السياقات بشأن ما يحصل في هذه الأزمة أخذت منحى آخر لدرجة أن التحليلات انحصرت في الدوافع التي جعلت أسمرة تميل إلى أديس أبابا في نزاعها مع الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي بغض النظر عن التداعيات التي سيخلفها الصراع الذي يبدو أن رقعته قد تتسع في أيّ لحظة.

صداقة مصالح رهينة الحسابات

واشنطن - قوبل انسحاب القوات الإريترية من منطقة تيغراي الإثيوبية بتشكيك الدبلوماسيين والخبراء في خضم صراع ساده التعتيم، والذي اندلع بعد خلافات وضغط شعبي لأكثر من عامين ونصف العام، إذ أطلق رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد عملية عسكرية واسعة النطاق ضد الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي، التي تحكم الإقليم الواقع أقصى شمالي البلاد.

وعلى مدى أشهر، نفت الحكومة الإثيوبية وجود جنود إريتريين إلى أن تزايدت الشهادات والشواهد حول الموضوع ثم فرض الضغط الدولي الاعتراف بوجودهم على الأراضي الإثيوبية، قبل الإعلان عن رحيلهم. لكن مجرد وجود مقاتلين إريتريين أثار تساؤلات مقلقة حول العلاقة بين رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد علي والرئيس الإريتري أسياس أفورقي.

عدو مشترك

تعيش منطقة تيغراي، التي تسكنها عرقية تيغرايان وإيروب وكونامـا، خلافات مع الحكومة الفدرالية في أديس أبابا منذ العام 2019، لكن التوترات تصاعدت أكثر عندما تحدت سلطات تيغراي الحكومة الفدرالية وأجرت انتخابات إقليمية اعتبرتها الحكومة "غير قانونية"، في ظل قرار فدرالي بتأجيل الانتخابات بسبب جائحة كورونا.

وترى لينسي شوتل الكاتبة في مجلة "فورين بوليسي" الأميركية أن من الواضح أن أسياس وآبي أحمد وجدا عدوا مشتركا في الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي، التي هيمنت على إثيوبيا منذ مطلع تسعينات القرن الماضي وحتى 2018، وقد لعبت دورا أساسيا في هزيمة إريتريا في حرب عامي 1998 و2000، ولم ينس القادة في أسمرة ذلك.

وتؤكد أنه في صراع تيغراي، رأى أسياس فرصة للانتقام، بينما رأى آبي أحمد حليفا ضد بقايا نظام الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي القديم في إثيوبيا حيث سعت إلى إعادة تأكيد نفسها كحركة انفصالية إقليمية.

كما تنبأ برونوين بروتون في العام 2018 أنه "طالما بقي وجود آبي أحمد وأسياس مهددا بجبهة تحرير تيغراي، فسيكون كلاهما سريعا في التغاضي عن خلافاتهما".

وورد أن الجنود الإريتريين عبروا الحدود الإثيوبية بعد وقت قصير من بدء الصراع في نوفمبر الماضي. وحتى عندما اعترف مسؤول عسكري رفيع المستوى بأن "جيشا أجنبيا غير مرغوب فيه" دخل الأراضي الإثيوبية، استمر آبي أحمد في إنكار تورط إريتريا. ولم يقر إلا بعد زيارة وفد أميركي ووسط مزاعم متزايدة بانتهاكات حقوق الإنسان.

كما تغيرت لهجته بشأن الصراع من تصريحات النصر في أواخر العام الماضي إلى اعتراف بأن الجيش الفدرالي الإثيوبي واجه قوة حرب عصابات في عملية "صعبة ومرهقة".

ويجعل التحول المفاجئ التأكيد على أن انسحاب القوات الإريترية صعب التصديق. وقد نشر برنامج أوروبا الخارجي مع أفريقيا، وهي منظمة غير حكومية مقرها بلجيكا، تقريرا يزعم أن الافتقار إلى الشفافية حول اتفاقية الانسحاب بعد أن سافر آبي أحمد إلى أسمرة للقاء أسياس شخصيا يمكن أن يؤدي إلى اندماج المقاتلين الإثيوبيين والإريتريين.

وتشير المخاوف إلى فهم اعتماد آبي أحمد العسكري على المقاتلين الإريتريين وميليشيات الأمهرة العرقية ضد الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي المنظمة جيدا.

ويقول ويليام دافيسون المحلل الإثيوبي البارز في مجموعة الأزمات الدولية، إنه أثناء بداية الحرب، قالت الحكومة الفدرالية إن مسؤولي جبهة تحرير تيغراي في تيغراي كانوا يصنعون الزي الإريتري لمحاولة خلق انطباع بوجود تدخل أجنبي.

ويشير دافيسون إلى أن هؤلاء الساخرين من صدق التزام آبي أحمد بالانسحاب الإريتري يقولون إن هذا سيكون مجرد اختبار لإعادة التوزيع. فربما يقود اندماج الجيشين الظاهري على الأرض الناس إلى فكرة التكامل العسكري الرسمي، لكننا بعيدون جدا عن حدوث ذلك بالفعل.

مخاوف من الاتحاد

أثار التعاون بين الزعيمين مخاوف من أن تكون خطتهما النهائية تكمن في إنشاء اتحاد فدرالي بين البلدين، والذي انقسم رسميا عندما أصبحت إريتريا مستقلة في 1993 ثم خاضت حربا دموية على الحدود من 1998 إلى 2000.

وفي ظل هذا السيناريو، سيكون بإمكان إثيوبيا غير الساحلية الوصول إلى البحر مجددا، ويمكن أن يعيد آبي أحمد إحياء البحرية الإثيوبية لتصبح قوة على طول ساحل البحر الأحمر.

وسيشهد هذا السيناريو إعادة بناء إريتريا لاقتصادها المتعثر، لكن دور أسياس في دولة اتحادية موحدة غير واضح، ومن غير المعروف ما إذا كان التعاون قابلا للتطبيق بما يتجاوز الكراهية المشتركة لجبهة تحرير تيغراي.

ولم تؤد تعليقات متحدث باسم الخارجية الإثيوبية دينا مفتي حول الحاجة إلى "إضفاء الطابع المؤسسي" على العلاقة إلا إلى تأجيج المخاوف، إذ أن هناك فرصة جيدة لأن تكون العلاقة أوسع وأقوى.

وقال مفتي خلال مؤتمر صحافي أسبوعي في أواخر الشهر الماضي إن "هناك أشياء لديهم ليست لدينا، والعكس صحيح. بالمناسبة، إذا سألت الإريتريين فهم لا يحتفلون باليوم الذي انفصلوا فيه عن إثيوبيا. ويسود نفس الشعور الجانب الإثيوبي". وتراجع لاحقا عن تعليقاته، قائلا إن "إثيوبيا ملتزمة بالسيادة الإريترية".

ورغم الإدانة الدولية لانتهاكات حقوق الإنسان المزعومة التي ارتكبتها القوات الإريترية في تيغراي، فقد دافعت إثيوبيا عن حليفها الجديد. وغردت وزارة الخارجية الإثيوبية الأسبوع الماضي حين ورد أن القوات الإريترية "بدأت في إخلاء" المنطقة "بينما يبدو أن العالم يسيء فهم جهود إثيوبيا لفرض القانون والنظام في تيغراي، عن قصد أو عن غير قصد، فإننا نقدر شعب إريتريا وحكومتها، ممن يفهمون سياق ما جرى".

حرب أبدية

بينما يعتبر محللون مثل دافيسون إعادة التوحيد "قفزة"، إلا أنها تفرض فحصا لأساس العلاقة بين الزعيمين، فمنذ بداية الصراع، اعتبر العديد من المراقبين أن جائزة نوبل للسلام التي تلقاها آبي أحمد في 2019 لإحلال السلام مع إريتريا زلّة خطيرة.

وقال الأكاديمي الإثيوبي أوول ألو المقيم في المملكة المتحدة، والذي كتب عن أسباب ترشيحه لآبي أحمد لنيل جائزة نوبل، لفورين بوليسي، إن "السياسي بث صورة شخصية شعبية تهدف للرقي بالبلاد". الآن، يرى أوول بداية نهج أكثر خطورة، من قبيل "لنجعل إثيوبيا عظيمة مرة أخرى".

وأوضح أن البلاد تحتاج إلى حوار حول الهوية ومستقبل الدولة الفدرالية، وأنه يجب دعم العملية دوليا لضمان عدم إدارة الحكومة التفصيلية لها.

وقبل أسابيع، طالبت الولايات المتحدة بمغادرة الجنود الإريتريين تيغراي على الفور، وزادت الضغوط في الأيام الأخيرة مع إيفاد الإدارة الأميركية السيناتور كريس كونز إلى إثيوبيا أواخر الشهر الماضي لإجراء محادثات استمرت ساعات مع آبي أحمد.

والآن، يبدو أن جميع الأطراف تستعد لما يمكن أن يتحول لمعركة طويلة. فبعد تكبدها خسائر، أعادت قوات تحرير تيغراي تجميع صفوفها في الريف بدعم السكان، كما ذكرت مجموعة الأزمات الدولية. فقد حفّزت الفظائع التي ارتكبت ضد سكان تيغراي التجنيد في الجبهة.

لينسي شوتل

آبي أحمد وجد في أسياس حليفا يبحث بدوره عن الانتقام

ويليام دافيسون

نحن بعيدون عن فكرة التكامل العسكري بين إثيوبيا وإريتريا

ويعتقد غيتاشيو رضا، وهو عضو في اللجنة التنفيذية لجبهة تحرير شعب تيغراي، في تصريح لقناة الجزيرة الأسبوع الماضي أن الحزب لا يمكنه استبعاد إمكانية السعي إلى استقلال تيغراي. وقال "إذا كان شعب تيغراي يطمح إلى إقامة دولة مستقلة، فلا يوجد شيء يمكن أن يقف في طريق هذا التطلع"، لكنه اعتبر فكرة إثيوبيا الموحدة "المبعوثة من الرماد" غير واقعية.

منطقة تيغراي الإثيوبية

تمثل نحو 6% من مجموع سكان البلاد

1975-1991: أطلقت «جبهة تحرير شعب تيغراي» حربا ضد الديكتاتور منغستو هيلا مريم وأطاحت بالنظام

1991-2018: سيطرت «جبهة تحرير شعب تيغراي» على الائتلاف الحاكم حتى تعيين رئيس الوزراء أبي أحمد عام 2018

2019: انتقلت «جبهة تحرير شعب تيغراي» إلى المعارضة رافضة خطة أبيي دمج الائتلاف الحاكم في حزب واحد

سبتمبر 2020: أجرت منطقة تيغراي انتخاباتها بشكل أحادي. اعتبرت أديس أبابا المجلس الإقليمي والتنفيذي غير شرعي

نوفمبر 2020: اتهم أبيي «جبهة تحرير شعب تيغراي» بمهاجمة قواعد عسكرية للقوات الفدرالية. أطلقت أديس أبابا عملية عسكرية في تيغراي

AFP

الفقر يضاعف من تجنيد الأطفال في الفصائل السورية الموالية لتركيا

حلب (سوريا) - تعطي أحدث المؤشرات دليلا آخر عن مدى استغلال الميليشيات السورية، التي تدعمها تركيا، لحالة الفقر وغياب الرقابة بين النازحين في المناطق التي تسيطر عليها بهدف تجنيد الأطفال في صفوفها والزج بهم في معاركها التي لا تنتهي ضد قوات سوريا الديمقراطية (قسد) في مناطق شمال شرق البلاد، وأيضا ضد قوات نظام الرئيس بشار الأسد.

ورغم اعتماد مجلس الأمن في شهر يوليو 2018 قرارا بشأن الأطفال والصراعات المسلحة، أدان فيه كافة انتهاكات القانون الدولي بما فيها تجنيد الأطفال من قبل أطراف النزاعات المسلحة وقتلهم وتشويههم واغتصابهم، إلا أن الوضع على الأرض في سوريا يبدو مختلفا بسبب غياب وسائل تراقب مثل هذه الأعمال والانتهاكات بحق الطفولة.

ومنذ بداية النزاع في 2011 تعرض الأطفال السوريون لأخطار لا حصر لها رغم الحماية التي منحها القانون الدولي لهم. وتشير تقديرات أممية وأخرى صادرة عن منظمات حقوقية دولية إلى أنه تم تجنيد الآلاف منهم على يد نظام الأسد وتنظيم داعش المتطرف وباقي الفصائل المتشددة، التي تعمل تحت إمرة الجيش التركي، لكن لا توجد إحصائيات دقيقة حولهم.

وذكر المرصد السوري لحقوق الإنسان في تقرير نشره على منصته الإلكترونية الاثنين كيف أن فصائل مسلحة تتقدمها "درع الفرات" و"غصن الزيتون" المدعومة من أنقرة في مناطق ريف حلب الشمالي جندت أعدادا كبيرة من الأطفال، لم يحددهم بدقة، تتراوح أعمارهم ما بين 15 إلى 18 عاما.

ويشرح المرصد طريقة قبول هؤلاء الأطفال في صفوف الفصائل وإخضاعهم لدورات عسكرية، ومن ثم توزيعهم على المقرات والحواجز بشكل غير مدروس في كثير من الأحيان، مستغلين حالة الخصاصة التي تعيشها أسرهم وأغلبهم من النازحين، مما يعرض حياة هذه الفئة إلى المخاطر كونهم لا يعون نتائج المواجهات الحربية في ساحات القتال مقابل بعض المال.

ورغم عدم وجود قرار يلزم الأطفال بالانضمام للمقاتلين، إلا أنه وفي الوقت ذاته لا توجد قرارات وقوانين تمنع ذلك، ولكن ما تشهده سوريا من أزمة معيشية وتفكك أُسري بشكل كبير بسبب ويلات الحرب والنزوح، فتح الباب أمام الكثير من الأطفال للانضمام إلى الفصائل المسلحة خاصة في المناطق الخاضعة لسيطرة القوات التركية والفصائل الموالية لها.

ويرى مراقبون ومتابعون لما يحدث في سوريا أن انخراط الفصائل الموالية لتركيا في تجنيد الأطفال له ما يبرره، فالأمور في منطقة الشمال السوري تتسارع بشكل يتجاوزها، وتخشى أن يكون هناك توجه دولي لسحب البساط من تحت أقدامها، خاصة بعد التغيرات التي طرأت على الساحة الدولية في الآونة الأخيرة.

وبحسب المرصد، يشكل الأطفال الذين يتم تجنيدهم من الميليشيات السورية المدعومة من أنقرة نسبة تتراوح ما بين 10 إلى 12 في المئة وذلك بحسب كل فصيل. ومن أكثر الفصائل التي يتواجد بين صفوفها أطفال هم "فرقة الحمزات" وفرقة "السلطان مراد" و"تجمع أحرار الشرقية".

ومع أنه لا توجد أرقام دقيقة يمكن الحصول عليها عن أعداد هؤلاء الأطفال لأنه من الصعب القيام بذلك في ظل وجود تكتم أمني على مثل هذه القضايا، لكن لا يكاد يخلو حاجز من الحواجز من وجود عنصر أو اثنين تحت السن القانوني، أي 18 عاما.

ويمثل ملف تجنيد الأطفال مشكلة متفاقمة لمنظمات حقوقية دولية تعمل على إنهاء المأساة المتواصلة في بلدان عديدة تشهد نزاعات مساحة، وقد كانت دول عربية في السنوات الأخيرة من الأكثر تجنيدا للأطفال نتيجة للفوضى التي حدثت فيها.

وليس ذلك فقط، بل يعتبر الكثير من الخبراء أن جائحة كورونا وتداعياتها الخطيرة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي فاقمت من ظاهرة تجنيد الأطفال في مناطق النزاع. حيث تسبب الفقر نتيجة الوباء في تضخيم أعداد الأطفال الجنود، الذين يتورطون في أعمال دموية وقتال يرتقي إلى مستوى جرائم حرب في العديد من البلدان.

وفي فبراير الماضي، توقعت الأمم المتحدة في أحدث تقرير بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة تجنيد الأطفال، الدفع بالمزيد من الأطفال للانضمام إلى الجماعات المسلحة في مناطق النزاع بسبب وباء كورونا وتداعياته القاسية على مختلف مناحي الحياة.

وتعد ظاهرة تجنيد الأطفال في الحروب قديمة، ومع توسع دائرة النزاعات يسجل الضحايا من الأطفال أرقاما مفجعة في مناطق الصراع، وتزداد المأساة الإنسانية حينما يودع الأطفال الطفولة ويرتدون الزي العسكري في الجبهات.

جنود برتبة ضحايا

أبرز الفصائل التي تجند الأطفال

- درع الفرات
- غصن الزيتون
- فرقة الحمزات
- فرقة السلطان مراد
- تجمع أحرار الشرقية